نوافق ولا نوافق.. على سفر توت ـ عنخ ـ آمون وبقية ملوك مصر !

محمد المصري

ابتهال غيث

التحقيق

إن قرار السيد منصور حسن وزير الدولة للثقافة والإعلام بمنع سفر آثارنا المصرية إلى الخارج .. بعد عودة معرض توت عنخ آمون من اليابان الغربية في يوليو القادم .. ليس هو نهاية المطاف .. ولكن لابد من مناقشة هذا القرار الهام .. فليس معنى أن تمثالا قد تحطم أو كسر .. أن نضيء الضوء الأحمر أمام آثارنا كلها .. ونمنع مرورها إلى المعارض الخارجية .. ونصر على بقائها معنا .. مكدسة في مخازننا .. ومن يريد أن يراها يأتي لنا !..

ونحن نعترف في البداية .. أن السيد الوزير – قبل أن يتخذ هذا القرار – أعلن في مجلس الشعب أنه وقف حائرا بين رأيين .. الأول حول عرض آثارنا في الخارج لأن هذا يحقق لنا أهدافا سياسية وثقافية وعائدا ماديا وصل إلى ١٧ مليون دولار نحن في حاجة إليها .. والثاني يطالب بأن تظل آثارنا في بلدنا .. ويخضع إليها من يريد أن يشاهدها

ولم يتخذ الوزير منصور حسن أي قرار بالموافقة أو الرفض على سفر الآثار في جلسة مجلس الشعب التي عقدت في الدورة الماضية لمناقشة قضية الآثار المصرية .. ولكنه ترك اتخاذ القرار للمجلس وأعضائه ولجنة الثقافة والإعلام .

وخرج علينا تقرير اللجنة يطالب منع عرض آثارنا المصرية في الخارج للمحافظة عليها .. أن إن اللجنة رغم اقتناعها بالرأي القائل بأن هذه المعارض قد ساعدت في التعريف بالحضارة المصرية إلى جانب أنها حققت أهدافا سياسية وثقافية غير العوائد المادي الذي بلغ ١٧ مليون دولار .. وكان في الواجب أن تخصص جميعها لخدمة الآثار لأنها في أمس الحاجة إليها .. فإن اللجنة في نفس الوقت ترى أن تذكر أنه لا تكاد تكون الدولة الوحيدة التي تنقل آثارها لعرضها خارج أراضيها . رغم ما قد تحدث هذه الآثار من

تلف أو سرقة أو تحطم أثناء عملية النقل أو العرض . وليس ببعيد حادث كسر العثرب فرق رأس الثعبان ، ملكات ، الذي من مجموعة توت عنخ آمون في متحف برلين بألمانيا الغربية . والذي عرضت ألمانيا مبلغ ٢٠ مليون جنيه لتعويضها عما حدث له . ولكن هذا التعويض يقوم على مبدأ تجاري دون النظر للدلالات الحضارية ولا القيم الثقافية . في حين طلب حي الترسم الأمريكي ١٨ ألف دولار كأجر لترميمه . بالإضافة إلى أن الآلاف من السائحين الغربيين الذين يزورون مصر أصبحوا محرومين من مشاهدة تلك الآثار النادرة لأن عظمة الأجداد تستوجب أن يسعى الناس إليها لا أن تسعى آثارهم الخالدة إليهم !

ليس معنى أن تمثالا قد كسر .. أن نمنع آثارنا من السفر للخارج

زارت اللجنة بضرورة الإبقاء الفوري لخروج آثارنا من مصر . وطالبت بفسخ العقد الذي بيننا وبين ألمانيا الغربية . بسبب ما تعرضت له آثارنا من تلف . والذي سينتهي في يوليو ١٩٨١

والذي نريد أن نقوله : أن هذا التقرير عرض على أعضاء مجلس الشعب في نهاية جلسات الدورة الماضية . ولم يأخذ حقه من المناقشة بل إنه لم يناقش مطلقا . وأن وكيل وزارة الثقافة السابق عاد قائلا مجلس الشعب قبل مناقشة تقرير اللجنة ! ..

وقد تمت الموافقة على هذا التقرير دون أية مناقشة . سواء من أعضاء مجلس الشعب أو من الحكومة . وعلى هذا الأساس اتخذ الوزير منصور حسن قراره بناء على تقرير اللجنة ..

ونحن نطالب إلى السيد الوزير بالاستماع إلى رأي المتخصصين . فنحن نؤمن جيدا بأنهم أصحاب الرأي العلمي والموضوعي البعيد عن العواطف .. ونحن لا نشك أبدا في أن السيد الوزير يؤمن بأهمية ودور العلم في جميع قضايانا .

وقد استمعنا إلى رأيهم ووجهة نظرهم . فمنهم من يوافق على سفر الآثار إلى الخارج . ويقدم حججه وأدلته التي تؤكد ضرورة سفر الآثار باعتبارها خير سفير لنا في دول العالم . وأنها مكنت العالم من التعرف على حضارة مصر القديمة . ورفعت اسم مصر عاليا بين أبناء شعوب العالم

أما المعارضون لسفر الآثار فيقولون : ماذا استفدنا من عرضها في الخارج ؟

إن المثال الذي امثل جيدا بالنسبة للعائد الذي حصلت عليه الدول التي عرضنا فيها آثارنا . كما أن الآثار نتيجة لعمليات النقل والعرض تعرضت للتلف والكسر والتحطم !

المؤيدون يتكلمون

يقول الدكتور شحاتة آدم رئيس هيئة الآثار المصرية : إنني أوافق على استمرار عرض آثارنا في الخارج . لأنها تؤدي رسالة كبيرة لنشر الحضارة المصرية في الخارج .

كما أن معارض الآثار تعتبر واجهة مشرقة لنا . وتقدم للعالم من خلالها إنجازاتنا القديمة كما يدعم قضايانا في الوقت الحاضر ويكسبنا احترام الشعوب

فقد كان معرض توت عنخ آمون في الولايات المتحدة داعيا لقضية السلام التي ندعوا

نوافق ولا نوافق على سفر توت ـ عنخ ـ آمون وبقية ملوك مصر

وعرض الآثار فى الخارج يؤدى رسالة ثقافية وسياسية . فأينما أقيم معرض للآثار تطبع ملايين الكتب عن مصر وحضارتها وآثارها بمختلف لغات العالم . وتحتوى هذه الكتب على صور ملونة للآثار .

ويضيف د. شحاتة آدم : إن دخل المعارض وصل حتى الآن ٢٠ مليون دولار . مع مراعاة أنه فى السنوات الأولى - « الستينات » - لم يكن هناك أى غرض مادى من إرسال هذه المعارض إنما كان الهدف هو إثارة الانتباه إلى مشروع إنقاذ آثار النوبة . وهذا المبلغ لا يعتبر ضئيلا

ويقول : إنه لا يوجد أى ضرر على آثارنا . بل إنها تلقى كل عناية وتخضع للترميم والمعالجة . وإذا كانت هناك قطعة أو قطعتان قد تعرضتا للكسر خلال العشرين سنة الماضية . فإن ذلك يحدث فى جميع دول العالم . وإننا قبل إرسال أى معرض نقوم بدراسة أهدافه السياسية والإعلامية والاقتصادية . فإذا لم تتحقق هذه الأهداف فإننا نرفض إقامة المعرض

خير سفير لنا

ويرى ناصف محمد حسن مدير منطقة آثار القاهرة والجيزة : أن آثارنا التى عرضت فى الخارج كانت خير سفير لنا . وجذبت انتباه العالم لنا . وجعلت لمصر عشاقها . وروجت السياحة لمصر فى فترة عرضها . فكل من يشاهد آثارنا فى الخارج يصمم على زيارة مصر لكى يشاهد حضارتها ويستمتع بعظمة أهرامانها ومعابدها ومقابر ملوكها . ومن لم يستطع زيارتها لعدم قدرته المادية يبدأ فى القراءة عن مصر وحضارتها وآثارها .

وعن الذين يعارضون سفر آثارنا يقول : أريد أن أوجه لهم سؤالا محددا . ما فائدة أن نكشف عن آثار قيمة كانت موجودة فى طيات الطمى أو فى باطن الأرض . ثم نكدسها فى مخازن ونتركها عشرات السنين دون أن يراها أحد . أو يستمتع برؤيتها أى مشاهد ؟ . . فهل هى أخرج من ظلام القبور إلى ظلام المخازن ؟ . . إن لكل أثر فى العالم يعلم أن مصر بها رصيد كبير من الآثار . ولكنها « مشرنة » فى بدروم المتحف المصرى فى مخازن عتيقة لا تصلح للمخازن .

وتوجد فى منطقة القاهرة ٧ مخازن مكدسة بالآثار المصرية . ورغم ذلك كله نسمع أن هناك أصواتا عالية ضد عرض وسفر الآثار للخارج رغم ما تحظه من كسب أدبى ودعاية لمصر . عجز الإعلام المصرى الخارجى عن تحقيقها

ويقول : إنى أشجع سفر الآثار المصرية للخارج . مع وضع الاحتياطات الضرورية لتأمين وسائل نقل هذه الآثار واختيار القطع المتكررة الموجود منها الكثير فى مخازننا .

وما حدث للقناع « سلكت » فى أثناء العرية فقد كان من المفروض أن يكون الأتيليه الذى سافر مع هذا المعرض متواجدا دائما . ويراعى كل قطعة ويشرف على نقلها

ويبدى مدير منطقة آثار القاهرة تعجبه من أن آثارنا المصرية فى الخارج تعرض فى أنفس حال . وأفضل الظروف . ويوجد بكل متحف قسم خاص من الآثار المصرية . وفى حالة وإذا تطالب بعض [illegible] مكدسة فى المخازن !

وهناك وجهات نظر أخرى توافق على سفر الآثار للخارج . . ولكنهم يشترطون . إذا تحققت الاحتياطات اللازمة من سفر الآثار .

مطلوب من د. مهدر الدقاوى رئيسة لجنة الثقافة والإعلام بمجلس الشعب مناقشة قرار منع عرض آثارنا بالخارج مرة أخرى

فالدكتور جمال مختار رئيس هيئة الآثار السابق وعضو المجلس الأعلى للثقافة يرى أن سفر الآثار معروف به فى العالم كله .

ولعل السبب فى إرسال هذه المعارض هو الدعم المالى الذى يقدمه عادة ثلث المتحف الأثرية . وتقدم عملية التحنيط وتطوير عمليات النقل . كما أن كثيرا من الدول تفاوض على مصر إرسال بعض آثارها لتعرض هنا . وقد أرسلت الخارج فعلا منذ بضع سنوات رواق التحت البريطانى . وأيضا فرنسا أرسلت بعض القطع الرائعة من التيجان والسجاجيد العتيقة . كما أن العراق وسوريا أرسلت معارضها إلى الخارج .

ولهذا يجب علينا عدم التخلف عن الاتجاه العالمى . تبع آثارنا من عرضها فى الخارج . ونحن أرسلنا آثارنا للخارج للدعوة لإنقاذ آثار النوبة التى كانت ستغرق تحت ماء السد العالى . ونجحت هذه الدعوة واستجاب العالم كله . ولم إنقاذ هذه الآثار

ويضيف قائلا : هذا فإنى أرى أنه لابد من تقييم فكرة إرسال الآثار للخارج . ودراسة المزايا والعيوب . فإذا أعطانا هذا التقييم مؤشرا بالاستمرار فى عملية إرسال الآثار يجب وضع سياسة ثابتة وخطة مدروسة وقواعد محددة لهذه العملية . أما إذا أثبت التقييم أن مضار هذه العملية إعلاميا وثقافيا وسياسيا أكثر من فوائدها . فيجب إيقافها فورا .

ويقول أيضا : إنى لا أملك القدرة على هذا التقييم لأن الإشاعات والبيانات التى توالت علينا بعد إصابة آثار توت عنخ آمون ليست تحت يدى . فالبعض يقول : إن معظم القطع الأثرية قد أصيبت بعطب شديد . وبلغ ٤٢ قطعة من ٥٥ قطعة . وأن مقدمتها القناع الذهبى لتوت عنخ آمون . بينما نجد أن هيئة الآثار تخرج علينا ببيانات مقتضبة يظهر فيها عنصر الدفاع وتحاول تبسيط العملية .

ويشير د. جمال مختار إلى أن هناك بعض القواعد المحددة التى يجب أن تتبعها إذا رأت الدولة العودة فى قرارها . وقبول استمرار عرض آثارنا فى الخارج . مثلا :

● تحديد الهدف من إرسال أى معرض للخارج . لأنه من الملاحظ أن هذه المعارض بدأت بهدف إعلامى لتعريف مواطنى الدول بعظمة الآثار المصرية . ثم تحول الهدف إلى عملية استجداء مادى لأهم هذا الأسباب التالى . وهذا أمر لا يتفق مع كرامة الآثار وعزة مصر . ويجب ألا يرسل أى معرض إلا لقطع عدد فى دولة واحدة أو لمجموعة دول متقاربة .

● يجب أن تصحب هذه المعارض حملة سياسية [illegible] مصر . حتى لا يفهم الناس هناك أن [illegible] الآثار فقط . ولكن يجب أن توضح فيه [illegible] الموجودة فى مناطقها . وأيضا الآثار [illegible] وتكوينات والآثار الإسلامية والقبطية واليونانية

● ألا تقتصر معارض الآثار على المرحلة

فقط . بل يجب إرسال معرض للآثار الإسلامية وآخر للآثار القبطية إلى نفس الدول ، حتى لا يكون كل الضغط موجها للآثار الفرعونية وحدها فقط . وآثار توت عنخ آمون بوجه خاص .

● أن يكون السؤول الأساسي عن الآثار ، هو المرافق مع الأثري . ويجب تقوية الآثار وترميمها قبل إرسالها للخارج . وأن يكلفها عليها كتفا بكتف . ويكتبا تقريرا عن حالتها عند وصولها . ويشرفا على وضعها في المقررات . وبعدد كافة العوامل التي توثر فيها من حرارة ورطوبة وإضاءة . وعند انتهاء المعرض يجب أن يعيدا الكشف على القطع مرة ثانية ويكتبا تقريرا عنها . ويشرفا على تعبئتها . وعلى وسيلة نقلها إلى أي معرض آخر أو عودتها إلى مقرها الأصلي

● الإقلال من النفقات التي تصرف خارج ميزانيات المعارض ذاتها . كشعر عدد كبير من المسئولين مع زوجاتهم لافتتاح كل معرض . ومعهم « حاشية » كبيرة . ويغدق عليهم أصحاب المعارض ترفيههم . ويصرفون لهم نفقات جلوس بالدرجة الأولى والإقامة في أفخم الفنادق . ويقام لهم الحفلات . كل ذلك يخصم في النهاية من دخل المعرض . ولهذا يجب أن يحسب مصاريف المعرض بدقة حتى لا يصاب بخسائر عندما يحد أن العائد قليل ! !

أوافق على السفر

ولكن إبراهيم النواوي مدير عام الآثار المصرية له رأي آخر في قضية سفر الآثار . فهو يقول : لقد كان الهدف الأساسي من سفر آثارنا للخارج منذ ثلاثين عاما هو تحرير العلاقات الثقافية بين مصر والعالم الخارجي . دون التفكير في العائد المادي لهذه المعارض . إلا بالقدر الذي يسمح بعمليات الصيانة والعلاج وتغطية مصاريف الإدارية لمعارض الآثار . كما كان الهدف أيضا هو تعريف العالم بالحضارة المصرية وتراثنا .

يعرف المثقفون في العالم على الكنوز المصرية وتراثها وجذب أعداد الدارسين والمهتمين بتاريخ الدراسات المصرية وتنشيط حالات تبادلهم وحمل العالمات العلمية للاحتكاك وتبادل الخبرات من الجانب المصري والأثريين العالميين وتقوية الروابط بينا وبينهم

ويمكنني أن أقول . إن معارض الآثار استطاعت أن تخلق هذا العائد الثقافي والسياحي والإعلامي . على أفضل مستوى . أما العائد الاقتصادي . فإني أعتقد أننا لم نحصل على العائد الذي يتناسب مع عدد الأعداد الهائلة التي زارت هذه المعارض في جميع دول العالم

وكان من المنتظر أن تكون الحصيلة الاقتصادية أكبر بكثير مما هي . باعتبار أن حصيلة هذه المعارض كانت متخصص أساسا لعمليات علاج وصيانة الآثار وتطوير المتاحف الأثرية . ولكن حدث ما حدث !

يقول مدير عام الآثار المصرية : رغم ذلك . فإني أرى أن استمر معارض آثارنا في الخارج . لأن ذلك يخلق لنا أصدقاء للثقافة والإعلام . ولكن يجب ألا تعرض بالكمية التي عرضت في السنوات الأخيرة . ونختار بعض القطع الشهيرة الصالحة للعرض التي تتحمل السفر والتنقل . وأن تعطى هذه القطع فرصة مواجهة عن الحضارة المصرية ليكون الهدف منها هو توصيل معلومات جيدة عن الحضارة المصرية وعن مصر الحديثة . وأن تكفل هذه القطع جميع الضمانات حتى تحقق العائد المادي الذي يمكن أن نستفيد منه في تطوير متاحفنا وصيانة آثارنا .

للمعارضين رأي :

. وإذا كانت هذه هي آراء وحجج الذين يؤيدون سفر الآثار للخارج لأنها كانت – على حد قولهم – خير سفير لنا . وحققت عائدا ماديا وأدبيا وثقافيا وإعلاميا لنا . فما هي آراء المعارضين لسفرها أيضا ؟ . ولماذا يعترضون على سفرها ؟

يقول زاهي حواس مفتش الآثار المرمم : إني قبل أن أوضح رأيي في الموافقة أو الرفض على سفر الآثار . لابد أولا من الإشارة إلى الفوائد والأضرار التي عادت علينا من عرض آثارنا في الخارج .

فعندما سافرت آثارنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية هذه المدة الطويلة . كان المواطن الأمريكي لا يعلم عن الحضارة أو الآثار المصرية شيئا . . وعندما عرضت آثارنا هناك اعتبر بها الشعب الأمريكي . . وكنا نجد أن الأطفال هناك يرتسمون ملابس عليها صورة هذا الملك الصغير .

وبهذا نستطيع أن نقول إن الفائدة الأولى التي عادت علينا من معارض الآثار . هي الدعاية الكبيرة لمصر وحضارتها . والتي بلا شك خدمت القضية السياسية المصرية . وأعتقد أن هذه هي الفائدة الوحيدة التي عادت علينا .

أما إذا نظرنا إلى الأضرار . فنجد أن المبالغ التي حصلنا عليها من دخول المعارض – على قدر علمي – هي خمسة ملايين دولار فقط .

خلال العامين اللذين عرضت فيها آثارنا في الولايات المتحدة الأمريكية . وهذا المبلغ يعتبر ضئيلا جدا بالنسبة إلى دخل المعارض في كل ولاية من الولايات الأمريكية . بالإضافة إلى المكاسب المادية الكبيرة التي حصل عليها منظمو المعرض من الجانب الأمريكي . نظير بيع المقتنيات الأثرية الفاخرة . والتيشرت السياحية والشرائح المطبوعة . وهذه الموضوعات تخلق دخلا يقدر بملايين الدولارات . فعندما عرضت آثار توت عنخ آمون في شيكاغو كان دخل المعرض حوالي ٣٠ مليون دولار

حققت الآثار المصرية بالخارج عائداً مادياً وثقافياً وحضارياً عجزت عن تحقيقه مسلسلاتنا الإعلامية !

إذن فالعائد المادي الكبير كان للجانب الأمريكي فقط . بينما لم تزد الاتفاقية حصول مصر على حقها من دخل هذا المعرض الذي كان يمكن أن نستخدمه في بناء متاحف جديدة لمصر . بدلا من هذه المتاحف المكدسة بالآثار . ولذلك فإن الفائدة التي عادت علينا من عرض آثارنا في الخارج هي « ملاليم » . إذا قيست بالدخل العام للمعارض !

بالإضافة إلى ذلك . فإن عمليات نقل الآثار خلال مدة عرضها يؤثر عليها تأثيرا سيئا . وقد كسر خلال الطرب الأنبة « سلكت » . وقد كسر هذا الثبات نتيجة عمليات النقل والإهمال في حفظه . كما أن الأحوال الجوية التي تحيط بالآثار تؤثر عليها تأثيرا شديدا . وتضاعف في إتلافها . فارتفاع درجة الحرارة أو الرطوبة من مكان لآخر . له تأثير خطير على الآثار مهما كانت إجراءات الأمن الأثر .

ويؤكد الأثري زاهي حواس . أنه ضد سفر الآثار من مصر . وعرضها في الخارج بطريقة لا تليق بها . وأن عرضها بالمتاحف في مصر أو داخل المناطق الأثرية يمكن أن يخلق لنا هذا الدخل الذي تقول إن الآثار عرضها في الخارج خلقته لنا .

ولكن ما هو البديل عن سفر الآثار المصرية إلى الخارج ؟

يرى زاهي حواس أن البديل عن سفر الآثار . هو تنظيم رحلات من الأثريين لإلقاء محاضرات عن الآثار والحضارة المصرية في الدول الأوربية والأمريكية . فهذه المحاضرات تعتبر أكبر دعاية لمصر . ولابد أن يكون الأثريون المحاضرون على مستوى لائق من حيث المظهر واللغة . لأنهم يمثلون في حضارة مصر القديمة والحديثة في نفس الوقت

والبديل الآخر لسفر آثارنا للخارج هو عمل معارض تضم نماذج من آثارنا المقلدة سواء في سفاراتنا أو في قاعات المتاحف الأجنبية . لأن المواطن إذا رأى هذه النماذج فإنه سوف يحضر لمشاهدة أصل هذه النماذج . وبالتالي سوف تستفيد من العملة الصعبة التي سيدفعها في مصر .

ويضيف زاهي حواس . إنا يجب علينا الاهتمام بمكانتنا السياحية في الخارج وتطويرها وترويجها بالإمكانيات لإبراز دور الحضارة المصرية والدعاية لآثارنا الخالدة في مصر .

أما عن الذين يقولون إنه يمكن الموافقة على سفر القطع المكررة فإني أقول إن هذا رأي سليم . . ولكن متاحف أوربا كلها وأمريكا أيضا بها آثار مصرية لا توجد لدينا مثلها . فكيف سيقبلون قطعا مكررة . وهم لديهم مخازن مليئة بتيلاتها . فمتحف « برمنجهام » يضم معروضات عن « الحياة اليومية المصرية القديمة » . منذ أربعة شهور . وحصل على ٣٠٠ قطعة من متاحف أوربا . وأخذوا من مصر ٢٠ قطعة فقط فالدلائل والقطع المكررة . موجود منها المكدس في الدول الخارجية . وبالتالي لعرض توت عنخ آمون أو « الأقصر وفاروك » فهي آثار من الفيشاوي أو الخشب . وخروج هذه الآثار من مصر يضر « حتما » . لأن هذه القطع تعتبر أكثر القطع تعرضا للتلف . رغم كل إجراءات الحفاظ عليها !

• • •

هذه كانت آراء المؤيدين لسفر آثارنا للخارج . والمعارضين أيضا . وهي بلا شك آراء متخصصة وعلمية وموضوعية . نقدمها لوزير الدولة للثقافة والإعلام السيد منصور حسن حتى يمكن إعادة النظر في قرار المنع . ولمنح ملف آثارنا مرة أخرى في لجنة الثقافة والإعلام بمجلس الشعب لدراسة هذه القضية الهامة مرة ثانية □